# لغة الشباب العربي

## في وسائل التواصل الحديثة

بحوث ومقالات حول اللغة الهجين (العربيزي،الفرانكو)
بأقلام مجموعة من الباحثين والمهتمين بالشأن اللغوي
في الوطن العربي

مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي
King Abdullah Bin Abdulaziz International Center
for the Arabic Language لخدمة اللغة العربية

# الشَّباب واللغة.. مشكلة اللغة الهجين

أ.د.عبد العزيز بن حميد الحميد
أستاذ فقه اللغة
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
المملكة العربية السعودية

## اللغة الهجين:

يـدور هذا المصطلح (اللغة الهجـين) لوصف استخدام فئةٍ مـن الشَّباب العربيّ للغتهم في أحوالهم المختلفة، بخاصّة في وسائل التواصل الحديثة، كالمنتديات، ومواقع التواصل الاجتماعيّ كـ(فيس بوك) و(تويتر)، والرسائل الإلكترونيّة... ونحوها.

إن التغيّرات التي أصابت العربيّة عبر تاريخها الطويل مستمرّة مع تباطئها، لكنّ الأمـر اختلف في العصر الحديث؛ فقد تسارعت التغـيّرات كثيراً كتسارع التغيّرات الحضاريّـة. ولعلّ التطـوّر الحضاريّ الهائل في كل المجـالات في السنوات الخمسين الأخـيرة يفـوق ما حدثَ فيما قبلها من الأزمنة السابقـة. ورافق هذا التطوّر الهائل تغـيّراتٌ كبيرةٌ أصابت العربيّـة وغيرها من اللغات؛ فاللغة تتطوّر بتطوّر حياة أهلها وتضعـف بضعفهـا. وأحسب أنّ مـا أصاب العربيّة من تغـيّرات في العصر الحديث يفوق ما أصابها عبر تاريخها الطويل.

يبالـغ بعض الناس في القول بجمود العربيّة وأنّها لم تتغيّر، استدلالاً بمشكلاتها في العصر الحاضر، ويأتي الجهل بتاريخها أحياناً سبباً لهذا القول، فشعور العربيّ بفجوةٍ كبـيرةٍ بين الفصحى والاستعمال اللغويّ في حياة أهلها الحاضرة يجعله يوقن بتخلّف العربيّـة وجمودها في جميع العصور لا في العصر الحاضر وحده، وهو ما يرسّخ لديه أنّ لغتـه غـير قابلةٍ للتطوّر ومسايرة التقدّم الحضـاريّ. ولا شكّ أنّه شعور بالضعف، وممّـا يعزّز هذا الشعور جهل العرب بلغتهم وبمواطن القوّة فيها، ولو عرفوها لأيقنوا أنّ الضعـف ليس من اللغة نفسها وإنّما من أصحابها. ولو نظرنا إلى آراء غير العرب مـن المستشرقين في قوّة العربيّة وتميّزها وقدرتها على أن تكون لغة العلم والحضارة، لو عرف الناسُ هذا؛ لربّما أعادوا النظر في نظرتهم إلى لغتهم، ويكفينا شاهد واحد

عليه وهو قول المستشرق الألماني يوهان فك: «إن العربيّة الفصحى لتدين حتى يومنا هذا بمركزها العالميّ أساساً لهذه الحقيقة الثابتة، وهي أنها قد قامت في جميع البلدان العربية والإسلامية رمزاً لغوياً لوحدة عالم الإسلام في الثقافة والمدنية. لقد برهن جبروت التراث العربي الخالد على أنه أقوى من كل محاولة يقصد بها زحزحة العربية الفصحى عن مقامها المسيطر، وإذا صدقت البوادر ولم تخطئ الدلائل فستحتفظ العربية بهذا المقام العتيد من حيث هي لغة المدنية الإسلامية»[1].

ولو أقمنا دراسةً تاريخيّةً للعربيّة منذ العصر الجاهليّ حتى العصر الحديث، نرصد فيها التغيّرات التي أصابتها في أصواتها، وقواعدها، وألفاظها، ومعانيها، وصيغها، وغيرها من المستويات، لو أقمنا تلك الدراسة؛ لوجدناها تغيّرات تدلّ على أنّ اللغة كانت تساير التطوّرات الحضاريّة المختلفة عبر التاريخ، ولم يظهر فيما قبل العصر الحديث قصورٌ جليٌّ في العربيّة عن تلبية حاجة أهلها، فكما كانت التغيّرات الحضاريّة متباطئةً فقد كانت العربيّة تساير تلك التغيّرات.

أمّا في العصر الحديث فظهرت فجوةٌ كبيرةٌ بين اللغة الفصحى والتعبير عن التطوّر الحضاريّ، فقد قصّرت اللغة عن مسايرة ذلك التطوّر المتسارع؛ بسبب تقصير العرب في حفظها وتطويرها، إلى جانب تخلّفهم وتفريطهم في هُوَيَّتهم والأسس التي تقوم عليها وأهمّها: الدين، واللغة. وكما نعلم فاللغة مهما تميّزت بقوّةٍ ذاتيّة في خصائصها وبنائها اللغويّ، وقدرتها على التطوّر، لكنّها لا تتطوّر وحدها، وإنّما تتطوّر إنْ أراد أهلها لها ذلك، فنهضوا بها واعتزّوا بالانتماء إليها، وأحيوها باستعمالها في حياتهم وتعليمهم، وإلاّ فإنّها ستضعف وتتخلّف عن مسايرة الحضارة. وأيّ ناظرٍ إلى اللغات يدرك أنّ اللغة تحيا بحياة أهلها، وتموت بضعفهم وهجرهم لها، فقد تضعف اللغة العظيمة أو تموت؛ لأنّ أهلها تخلّوا عنها وهجروها إلى غيرها، وقد تنتعش اللغة الضعيفة في خصائصها؛ لأنّ أهلها أرادوا لها الحياة باستعمالهم وتطويرهم لها، ولعلّي أمثّل بلغتين تعيشان حالتين متقابلتين في القوّة والضعف في خصائصهما، وفي واقعهما المعاصر:

---

(١) الفصحى لغة القرآن، ص٣٠٢.

الأولى اللغـة العربيّة، فلا أحد يجادل في قوتهـا في خصائصها الذاتيّة، من ثراء ألفاظهـا ومعانيهـا، وآليّـة توليدهـا للألفاظ بالاشتقـاق، واطّراد أكـثر قواعدها، إضافـة علـى خصائصها الأخرى. وقد أشاد بتميّزها غـير العرب من المستشرقين الذيـن درسوهـا مع نظرهم في عشـرات اللغات الأخرى وإدراكهم مـا تتميّز به من تفـرّد في بعض تلك الخصائص. لكنّ ذاك التميّـز وحده لا يمنح العربيّة التفوّق في واقعهـا الحيّ، بسبب ضعف أهلها وتخاذلهم في رفعتها. ولا ينكر أحد تأخّر العربيّة اليوم عن مسايرتها للتقدّم العلميّ والحضاريّ.

الثانيـة اللغة الصينيّة، فبالنظـر إلى خصائصها الذاتيّـة يصنّفها الباحثون في اللغـات تحت أضعف الأصناف؛ فلا اشتقاق فيهـا، ولا روابط بين مفرداتها كما في العربيّـة؛ ولـذا يصنّفونها في اللغـات العازلة، أي التي لا اشتقـاق فيها، ولا روابط. ومـع ذلك فالصينيّة لغةٌ حيّةٌ لأكـثر من مليار صينيّ، وهي لغة حضارتهم المعاصرة وعلومهم الحديثة، مع ما هو معروف عنها من صعوبة وتعقيد.

## ما اللغة الهجين؟

لمعرفـة مفهوم هـذا المصطلح (اللغة الهجـين) تجدر العـودة إلى تعريف قدماء اللغويّـين للهُجنَـة في الـكلام، فقد عرّفوها بمـا يَلزَمُك منه العيبُ، تقـول: لا تفعلْ كـذا؛ فيكون عليـك هُجْنَةً، والرجل الهَجِين: الـذي أبوه عربيٌّ، وأمّـه أَمَةٌ[1]. وعليه فاستعمـال لفظ (الهَجِيْن) في الماضي لوصـف الكلام الذي فيه هُجنة، وهو العيب، كالرجل الهَجين. وفي العصـر الحديث يُراد منه وصف المستوى اللغويّ في استعمال العـرب اللغة في شتّى الميادين، وإن كان أبرزها تأثراً الاستعمال الحديث في وسائل التواصـل الإلكـترونيّ. ولا شـكّ في أنّ كثيراً مـن استعمال العرب للغـة في حياتهم اليوميـة يمكن أن نصفه بهذا الوصف؛ فهو خليط من الأخطاء والألفاظ الأعجميّة، لكنّ الهُجْنة تكون أكثر وضوحاً حينما يختلط الاستعمال الحديث للغة بالمصطلحات والتراكيب الدخيلة من لغات أخرى.

(١) ينظر: تهذيب اللغة، ٦/ ٦٠.

وقد أسهمت عوامل عدّة في التغيّرات التي أصابت استعمال اللغة هنا، ويمكن ذكر بعض تلك العوامل فيما يلي:

٤. ضعف الوعي اللغويّ لدى الشَّباب، فأكثرهم لا يشعر بالاعتزاز بلغته وأهميّة الحفاظ عليها. وتأتي مسؤوليّة هذا الضعف مشتركة بين الشَّباب أنفسهم والمؤسسات التعليميّة، سواءٌ المعنيّة بالتعليم العامّ، والتربويّة المعنيّة برسم الخطط التعليميّة ووضع المناهج. ولو أُعطيت اللغة حقّها في غرس الوعي بأهميّتها في نفوس الطلاب، وتعليمهم أنّها عنوان استقلالهم ومفتاح تقدّمهم؛ فسيظهر ذلك في نظرتهم إلى لغتهم.

٥. ضعف العلم بالعربيّة لدى الشَّباب، وضعف القدرة على النطق السليم بها تحدثاً أو قراءةً، إلى جانب ضعف الكتابة السليمة بها، وهذا السبب يُعزى إلى ضعف تكوينهم اللغويّ في أثناء المراحل الدراسيّة المختلفة. ولا شكّ أنّ اللوم في هذا يقع على المؤسسات التعليميّة في إهمالها البناء اللغويّ السليم للطالب في المراحل التعليميّة الأولى، وكون تعليم العربية تعليماً تقليدياً قائماً على التلقين لا التطبيق والتفاعل.

٦. تقصير أساتذة العربيّة ومتخصّصيها في علاج مظاهر الضعف فيها، فأكثرهم لا يزيد على إلقاء دروسه أو محاضراته على طلابه، وغالبها طريقة عقيمة في تدريس العربيّة، لا تزيد على إلقاء قواعد أو نظرياتٍ جامدة، والاكتفاء بالطرح النظريّ دون تطبيق هذه القواعد؛ ولذا يخرج كثيرٌ من الطلاب ولديه معرفة نظريّة بقواعد اللغة، لكنّه غير قادرٍ على الحديث بها. وممّا يدلّ على إخفاق أساتذة العربيّة في تعليمها ما نراه من ضعف طلاّبها ممّن درَسَها في أقسام اللغة العربيّة، وفي الجانب الآخر نرى مَنْ درسَ الإنجليزية في سنة أو سنتين وأتقن كثيراً من مهاراتها وهي لغة أجنبيّة عنه، ولا شكّ أنّ الفارق هنا هو اعتماد تطبيق اللغة والحديث بها عند دراسة الإنجليزية، وافتقاد هذا التطبيق في دراسة العربيّة.

٧. حاجة الشَّباب إلى السرعة في التواصل بينهم والاختصار في كتابة الألفاظ والتراكيب، وهو ما يدعوهم إلى التخفّف من كثيرٍ من ضوابط الكتابة العربيّة، أو ترك الكتابة بالعربيّة إلى استعمال رموزٍ أجنبيّةٍ للكتابة.

٨. الشعور بالانهزاميّة والانكسار أمام سيل اللغات الأخرى المتطوّرة، كالإنجليزيّة، وهو ما يدفع الشَّباب إلى التزيّن باستعمال الألفاظ الأجنبيّة في كلامهم أو إدخالها في كتابتهم، أو استعمال الحروف الأجنبيّة في كتابة الكلمات العربيّة للتعبير عن إعجابهم بها، أو مسايرتهم غيرهم في استعمالها.

٩. قد يلجأ العربيُّ خارج الوطن العربيّ إلى استعمال الحروف الأجنبيّة في كتابة الألفاظ العربيّة حينما لا تكون لديه لوحة مفاتيح عربيّة، أو ليس في حاسبه نظامٌ عربيّ، وقد يُعذر هذا الصنف من الناس، لكنّها ظاهرةٌ أسهمت في انتشار هذا النوع من الاستعمال.

١٠. حديثُ غير العرب أو كتابتهم باللغة العربيّة مع وقوعهم بالأخطاء في نطقهم أو كتابتهم، تأثراً بلغاتهم الأصليّة، ثم انتشار هذه الأخطاء بين العرب أنفسهم، يأتي أحدَ الأسباب في انتشار الهُجْنَة في الكلام وظواهر اللحن المختلفة، وهذا السبب كان أحدَ الأسباب في بداية وقوع اللحن في اللغة في عصورها المتقدّمة.

هذه بعض أبرز الأسباب لكنّه ليس حصراً لها، فحصرُها يبدو صعباً؛ لتفاوت تأثير تلك الأسباب في نشأتها ونموّها، ولأنّه موضوعٌ شائكٌ، يتّصل باللغة المستعملة وما يُداخلها ويؤثّر فيها.

ولا عجبَ ممّا أصاب العربيّة عبر تاريخها الطويل من تغيّراتٍ بسبب استعمالها، فاستعمال الألفاظ يُعرّضها للتغيّر، لكنّ الحفاظ عليها من التغيّرات الكبيرة التي تفسدها هو مَطْلب العلماء قديماً واللغويّين حديثاً، ولا يظنّ ظانٌّ أنّ اللغة يجب ألاّ تتغيّر؛ فجمودُها وثباتُها يعرّضها للضعف. وقد أدرك العلماء حتميّة تلك التغيّرات فيما يُستعمل من اللغة، لكنّهم نبّهوا على ما رأوه خطأً، فهذا أبو بكر الزُّبيديّ رحمه الله يقول في بداية كتابه (لحن العوامّ): «ولعلّ طاعناً يطعن في كتابنا هذا بما ذكرناه من الكلام السوقيّ، واللفظ المستعمل العاميّ؛ جهلاً منه أنّ الفساد

إنّما يقع في المستعمل على الألسنة، وأنّ الحوشيّ مصونٌ عن التغيّر والإحالة؛ بقلّة استعماله، وجهل عوامّ الناس به»[1]. والزُّبيديّ هنا أدرك أنّ الاستعمال يعرّض الألفاظ للانحراف والتغيير، لكنّه ألّف كتابه في التنبيه على مواطن اللحن فيها.

حينما ينظر المتأمّل في تاريخ التغيّرات غير المقبولة التي أصابت العربيّة يظهر له أنها قديمةٌ جداً، فلا يخفى على مطّلع أن اللحن بدأ في عصرٍ مبكّرٍ بعد اختلاط العرب بغيرهم، وحينما بدأ الأعاجم الحديث بالعربيّة، بدأت مظاهر اللحن المختلفة تظهر في كلامهم، سواء كانت في بناء اللفظ، أو في الأصوات، أو في الإعراب، أو تركيب الجمل، أو في الدلالة، وانتقلت بعض تلك الظواهر إلى العرب بقدر اختلاطهم بأولئك العجم وتأثرهم بهم.

فسادُ أيّة لغة يأتي ممّا يدخل فيها من مؤثراتٍ خارجيّة في الغالب، وهو ما وقع للعربيّة في عصور مبكّرة، وهو ما يؤكّد لنا أنّ هذه الظاهرة المعاصرة ليست جديدة عليها، وإنّ تغيّرت الأساليب والظواهر. ولإدراك التشابه بين حالتي العربيّة في تلك العصور والعصر الحاضر من حيث التغيّرات التي أصابتها، يجدرُ هنا ذكرُ بعض أنواع اللحن التي ظهرت في العصور المتقدّمة، مع التمثيل عليها؛ لندرك أنّ كثيراً ممّا نراه في عصرنا له أصول قديمة:

## اللحن في الأصوات:

هو وقوع اللحن في الجانب الصوتيّ من اللغة، بإبدال صوت مكان آخر، أو نطق صوت نطقاً مغايراً للنطق العربيّ، ومن أمثلته القديمة:

- ذكر الجاحظ قول فيل مولى زياد لزياد: أهدوا لنا حمار وَهْش، يريد: حمار وَحْش، فقال زياد: ما تقول، وَيْلَك؟ قال: أُهدوا لنا أيراً، يريد: أهدوا لنا عَيْراً، قال زياد: الأول أهون[2].

(١) لحن العوام، ص ٩.
(٢) ينظر: البيان والتبيين، ١/ ٧٣.

- ذكر الجاحظ أن عبيد الله بن زياد والي العراق قال لهانئ بن قبيصة: أَهَرورِيّ سائـر اليوم؟، يريد: أحروريّ؟. وكذا صهيبٌ الروميّ رضي الله عنه كان يقول: إنـك لَهائن، يريد إنـك لَحائن، وكان يرتضخ لُكْنَةً رُوميّـة، وعبيد الله بن زياد يرتضخ لُكْنَةً فارسيّة، وقد اجتمعا على جعل الحاء هاء.
- وذكر الجاحـظ أن أزدانقاذار لُكْنَته نَبَطيّة (وقـد استكتبه الرشيد على ديوان الخراج وكان ثَنَويّاً)، وكان مثل صهيب وعبيد الله بن زياد في جعل الحاء هاء، وبعضهـم يروي أنـه أملى على كاتب له فقال: اكتب (الهاصل ألف كُرّ)، فكتبها الكاتـب بالهـاء كاللفـظ بها، فأعـاد عليه الـكلام، فأعاد الكاتـب، فلما فطن لاجتماعهمـا علـى الجهل قال: أنت لا تهسـن أن تكتب وأنا لا أهسـن أن أملي، فاكتب (الجاصل ألف كُرّ)، فكتبها بالجيم معجمة[1].
- نسـب العبدري (ت ٦٨٨هـ) إلى أهل القاهـرة قلب القاف همزة فقال: «اللكنة فيهم فاشية، وجمهورهم يجعل القاف والكاف همزة»[2].

أمّا وُقوعه في كلام الأعاجم حينما يتحدثون العربيّة فهو جليّ كثير، ولا عجب؛ لأنّ بعض أصوات العربيّة ليس في لغاتهم، فهم يبدلونه إلى صوت من أصوات لغاتهم. وأمّا عند العرب فهو فاشٍ لكنّه أقلّ من لحن الأعاجم.

## اللحن في بناء الألفاظ:

وهو ما يتصل بالبناء اللفظيّ للكلمة، وهو باب واسع، لكنّي أمثّل له بمثالين:

- ذكـر الجاحظ قول رجلٍ مـن البلديّين لأعرابـي: كيف أَهْلك؟ قـال الأعرابيّ: صَلْبـاً[3]، فالرجل سألـه عن أهله، فكسر اللام بدل ضمّهـا؛ فأجابه الأعرابي بناءً على سؤاله الخاطئ، وكأنّه يسأله عن كيفيّة هلاكه.
- ذكـر أبو بكر الزبيـديّ أن العامّة يقولون لواحد المُصْـران: مُصْرانة، وذكر أنّ الصحيح مَصِير، وجمعه مُصْران[4].

(١) ينظر السابق، ١/ ٧٢.
(٢) ينظر: الملاحظات اللغوية للجغرافيين العرب: دراسة في ضوء علم اللغة، ص ١٢٢.
(٣) البيان والتبيين، ١/ ١٦٣.
(٤) ينظر: لحن العوامّ، ص ١٥٧.

وهـو كسابقه مـن اللحن الشائـع في كلام العرب والعجم، فمتـى بَعُدَ العرب عن معرفـة الفصيح من الألفاظ أجـروا ألسنتهم بما يريدونـه، فربّما انحرف نطقهم باللفظ أو استحدثوا لفظاً ليعبّر عمّا يريدون.

## اللحن في دلالة الألفاظ:

وهـذا النـوع من الانحراف يمسّ دلالة اللفظ، وهو واضـح جليّ؛ سواء بأنْ تنحرف دلالة اللفظ عن المعنى الأصليّ إلى معنى قريب منه أو بعيد، وربّما كان اللفظ فصيحاً، لكنّ الانحراف في معناه. وقد يختلف اللغويّون في مثل هذا بين مَنْ يرى أنّه من اللحن، ومَنْ يرى أنّه من التطوّر الدلاليّ، وقد يستخدم المتكلم أو الكاتب كلمة لمعنى آخر غير المعنى الذي هي له، ويمكنني التمثيل عليه من الاستعمال المعاصر بمثال:

يستخدم عامّة الناس لفظ (نَفَر)؛ للدلالة على الشخص الواحد، وهو بالفصحى للعـدد من الرجال، ما بـين الثلاثة إلى العشـرة أو ما دونهـا، والاستعمال المعاصر للدلالـة علـى الشخص خطأ، أخـذوه من غير العـرب، ممّن توهّـم أنّ هذا اللفظ يرادف لفـظ (شخص). وهو من التغيّرات التي لا حاجة إليها؛ لوجود ألفاظ أخر، تدلّ على الشخص الواحد.

ومثـل هذا النوع من التغيّر اللغـويّ يختلف الناس في قبوله ورفضه، والفاصل هنا النظـر إلى اللغة وحاجتهـا إلى هذا التغيّر، فإن لم يكن لهـذا التغيّر حاجة فالأولى تركه، كالمثال السابق لكلمة (نفر).

## اللحن في تركيب الجمل:

وهـو ما يقـع في تركيب الكلام، فقـد تكون الألفـاظ فصيحةً لكـنّ تركيبها ليس فصيحـاً، وأكثر مـن يقع فيه غير العرب؛ لحاجة التركيـب إلى الحِسّ اللغويّ الذي يفتقر إليه غير العرب، ومن شواهده القديمة: حكى الجاحظ أنَّ الحجاج قال لتاجر دوابّ خراساني كان يبيع الدواب للجيش: «أتبيع الدوابّ المعيبةَ من جند السلطان؟! فقـال التاجـر: شريكاننا في هوازها، وشريكاننا في مداينهـا، وكما تجي تكون. قال الحجـاج: ما تقول ويلك؟! فقـال بعضُ من قد كان اعتاد سماع الخطأ وكلام العُلوج

بالعربيـة حتى صار يفهم مثل ذلك: يقول: شركاؤنا بالأهواز وبالمدائن يبعثون إلينا بهذه الدوابّ؛ فنحن نبيعها على وجوهها»[1].

ومثـل هـذا النوع نراه حينمـا يتحدّث الأعجمـيّ بالعربيّة فيركّب الـكلام على وجوه لا تصـحّ، بـل يقـع فيها كثير من العرب، لكـنّ خطأ العربيّ في مثل هـذا يكون أهونَ في السمع وأقلّ.

## اللحن في الإعراب:

ولا يحتـاج هذا النوع إلى التمثيل عليـه لشهرته، ولأنّ الغالب على كلام العرب في هـذا العصر والعصور السابقة تـرك الإعراب أو كثرة الخطأ فيه، فهو ليس مظهراً طارئاً على العربيّة وإنّما بدأ واستشرى في عصور قديمة.

**من سمات هذا المستوى اللغوي:**

السِمَـة العامّة لهذه المستـوى في الاستعمال مجانبتُه الاستعمـال السّليم للغة، أيّاً كان نـوع الانحراف، سـواء كان في الأصوات، أو في بناء اللفـظ، أو في المعنى، أو في الإعراب، أو في التركيب.

شاع عند القدماء استعمال مصطلح (اللحن) للتعبير عن الانحراف اللغويّ أيّاً كان نوعه، وكَثُرَتْ المؤلفات فيه؛ فبلغت العشرات. وهو مصطلح عامّ يشمل ما كان بسبب العُجمـة، أو مـا كان بسبب آخر. أمّا مصطلح (الهَجين) فـكان أقلّ في استعمالهم، لكنّه شاع في الاستعمال المعاصر؛ لوصف الكلام الذي خالطه تأثيرٌ أجنبيّ.

ويأتـي مصطلـحٌ آخر أكـثر تحديداً للتعبير عـن أثر العُجمَة في الـكلام العربيّ، وهـو مصطلح (اللُكْنَـة)، ويأتي لوصف ظاهـرة اللّحن، التي تقع مـن غير العربيّ غالبـاً، وهي التـي عرّفها الجاحظ بقولـه: «ويُقَال في لسانه لُكْنَـة، إذا أدخل بعض حروف العجم في حروف العرب، وجذبت لسانَه العادةُ الأولى إلى المخرج الأول»[2]، أي بنطـق الألفاظ العربيّة بلُكنة أعجميّة خليط من ألفـاظ عربيّة محرّفة، وألفاظ أعجميّة دخيلة من لغة المتكلّم غالباً.

(١) البيان والتبيين، ١/ ١٦١-١٦٢.
(٢) السابق،١/ ٤٠.

ولأنّ اللُّكْنَة تختصّ بتأثير العُجْمَة في الكلام العربيّ، فهي في الغالب تقع في حديث الأعجميّ حين يتكلّم العربيّة، لكنّها قد تقع من عربيّ تأثّر بالأعاجم لطول مخالطته لهم.

**سيطرة اللُّكْنَة على الأعجميّ:**

يأتي أثر اللغة الأمّ عاملاً مؤثّراً على المتحدّث بالعربيّة من غير أهلها، ومن أوضح الآثار الملحوظة على الأعجميّ المتحدّث بالعربيّة أثر لغته الأمّ في نطقه أصوات العربيّة، فتتداخل أصوات العربيّة وأصوات لغته، وفي الغالب لا يستطيع التخلّص من تلك اللُّكْنة.

قال الجاحظ: «فأما حروف الكلام فإن حكمها إذا تمكّنت في الألسنة خلاف هذا الحكم، ألا ترى أن السِّنديّ إذا جُلب كبيراً؛ فإنه لا يستطيع إلا أن يجعل الجيم زاياً، ولو أقام في عُليا تميم، وفي سُفلى قيس، وبين عَجُز هوازن خمسين عاماً، وكذلك النَّبطيّ القُحّ خلاف المغْلاق، الذي نشأ في بلاد النبط؛ لأن النَّبطي القُحّ يجعل الزاي سيناً، فإذا أراد أن يقول: زورق قال: سورق، ويجعل العين همزة، فإذا أراد أن يقول: مُشْمَعِلّ قال: مُشْمَئِلّ»[1].

ولا يخفى لكل مشاهد تأثّر لغة الإنسان بما يجاوره ويخالطه من البيئة المحيطة به، والبشر الذين يخالطهم. فهذا ابنُ حزم الأندلسي ذكر تبدّلَ اللغات وتغيّرها؛ لتبدّل مواطن أهلها، وهو ما أدركه بالمشاهدة، قال: «إلاّ أنَّ الذي وقفنا عليه وعلمناه يقيناً أن السريانية والعبرانية والعربية التي هي لغة مضر وربيعة، لا لغة حِمْيَر لغةٌ واحدةٌ تبدّلت بتبدّل مساكن أهلها فحدث فيها جَرْش[2]، كالذي يحدث من الأندلسيّ إذا رام نغمة أهل القيروان، ومن القيروانيّ إذا رام نغمة الأندلسيّ، ومن الخراساني إذا رام نغمتهما، ونحن نجد مَنْ سمع لغة أهل فَحْص البَلّوط وهي على ليلة واحدة من قرطبة كاد أن يقول: إنها لغة أخرى غير لغة أهل قرطبة، وهكذا في كثير من البلاد،

---

(١) السابق ١/ ٧٠.

(٢) الجَرْش: الحكّ، جَرشَه: حَكّه، ولعله أراد صوتاً شبّهه بصوت الحكّ ليبيّن الاختلافات التي وقعت بين تلك اللغات التي كانت لغةً واحدةً قبل تبدّل مساكن أهلها.

فإنه بمجاورة أهل البلدة بأمّة أخرى؛ يتبّدل لغتها تبديلاً لا يخفى على مَنْ تأمّله»[1].

الالتفات إلى أثر البيئة المحيطة بالمتحدّث على اللغة التي يتحدّثها يعلّل لنا كثيراً من الاختلافات اللغويّة التي أصابت الأقطار العربيّة في الأزمنة السابقة وفي الزمن الحاضر، ولا يخفى أنّ الاختلافات اللهَجيّة التي كانت معروفة بين العرب قديماً جاء أكثرها بسبب البيئة والموقع الجغرافيّ لمستعمل اللغة. وهذا ظاهر في الاختلافات بين لغتي الحجاز وتميم في العربيّة الفصحى، فلغة الحجاز كانت تمثّل لغة الحاضرة، ولغة تميم والقبائل الأخرى معها تمثّل لغة البادية، كما لا ننسى الاختلافات بين لغات أهل العراق والشام ومصر، فعلى سبيل المثال، ظهرت المؤثرات الفارسيّة على لغة بعض مناطق العراق؛ لمخالطتهم الفرس، وهو أمر معلوم لدى العلماء، ومثلها لغة بعض مناطق الشام في تأثّرها باللغات الأخرى وبقايا اللغات الساميّة السابقة على العربيّة.

أحسب أنّ ملاحظة تأثير البيئة الجغرافيّة بما يتبعه من تأثير ثقافيّ أو حضاريّ من الأمم المجاورة، سيكشف عن كثير من أسباب التغيّرات التي تصيب اللغة. ولا شكّ أنّ دراستنا للغتنا ورصد مثل هذه التغيّرات وأسبابها؛ سيكشف لنا أنواع هذه الأسباب وطرق علاجها.

## كيف عالجَ القدماء تلك الانحرافات اللغويّة؟

### حركة التصحيح اللغويّ:

لعلّنا نستحضر الحالة التي كانت عليها العربيّة الفصحى في القرن الأول الهجريّ وما بعده، حينما توسّعت بلاد الإسلام بالفتوحات، ودخل في الإسلام شعوبٌ ذات لغات وثقافات وحضارات مختلفة المشارب، سعوا جميعاً إلى استخدام اللسان العربيّ غيرَ منفكّين عن تأثرهم بلغاتهم الأصلية، ومن هنا بدأت مظاهر اللحن في العربيّة.

ولا تخفى حركة التصحيح اللغويّ، التي قام بها علماء العربية؛ ردّاً على استشراء مظاهر اللحن تلك. وهي حركة توعية للناس، برصد مظاهر اللحن، والتنبيه على الوجوه الصحيحة فيها، وألّفوا فيها كتباً كثيرةً عُرفت بكتب (لحن العامّة أو العوامّ)

(١) الأحكام في أصول الأحكام، ١/ ٣١.

أو (لحـن الخاصّـة أو الخواصّ)، أو غيرها مـن أسماء. كما قامـت حركة تصحيح أخرى في العصر الحديث، حـاول أصحابها رصد الانحرافات اللغويّة في نطق الناس وكتابتهم بالعربيّة، وألّفوا كتباً متعدّدةً في التنبيه على الخطأ والصواب. ولا أحد يُنكر أثر تلك الكتب القديمة والحديثة في توعية مستعملي اللغة وتقويم استخدامهم للغة.

وحينمـا ننظر إلى واقع لغتنا المعاصر نجد الكثير مـن الظواهر اللغويّة قد جَدّت في استعمالنـا للغة، سـواء في حياتنا اليوميّـة، أو في الاستعمـال الخاصّ في وسائل التواصـل الإلكترونيّ، مـن منتديات، وشبكات اجتماعيـة، وتواصل اجتماعي. ولعل مصطلـح (اللغـة الهجين) أوضـح تعبير عن هـذه الظواهر، ولعل مفهومـه يتوسّع بحسـب الأحوال التي تجِدّ في واقعنا، ومنهـا ذاك المستوى اللغويّ الذي يكثر تداوله بين فئة الشّباب في منتديات الحوار والمحادثات بوسائلها المختلفة.

## مصطلح (اللغة الهجين) في الاستخدام المعاصر:

أحسـب أن هذا المصطلـح مَرِنٌ، يشمل أنواعاً متعددةً مـن مظاهر الهُجْنَة، منها الأخطـاء التي يقـع فيها العامّة والكُتّـاب وغيرهم، وبسبب التوسّـع في تعلّم اللغات الأجنبيّـة وسهولة التواصل بـين الأمم والثقافات عبر وسائل الإعلام الحديثة؛ فقد كـثرت تلك المظاهر في نواحي متعـدّدة من أنشطة الحياة اليوميّـة. لكنّي هنا أقف سريعاً عند نوعٍ خاصّ حديثٍ من مظاهر اختلاط العربيّة بتأثيرات أجنبيّة:

١. مظاهـر العُجمة التي تأتي بتأثيرات أجنبيّـة، كالأعاجم عند حديثهم بالعربيّة ووقوعهـم في اللحن بوجوهه المختلفة، مـن تحريف الألفاظ أو خلطها بأصوات أعجميّـة، أو انحرافهم في المعاني باستخدام اللفظ لغير معناه، ثم انتشار هذه الظواهـر وشيوعهـا. ومن مظاهر العُجمة ما يجلبه العربـيّ من لغة أجنبيّة في استعماله العربيّ للغتـه، بخلطه بين الألفاظ العربيّة والأجنبيّة، أو انحرافه في نطق بعض الألفاظ العربيّة بتقليد الأعاجم في نطقها.

وأحسب أن معالجة مثل هذه الظواهر يكون بالتوعية ورفع الثقافة اللغويّة للمجتمع، ولعلّ ما قام به القدماء والمحدثون في التصحيح اللغويّ جديرٌ بالاتّباع.

٢. كتابة العربيّة بحروف وأرقام لاتينيّة: وهو ما يُعرف بين الناس بـ(arabizi) أو (Franco Arabic)، وهو مظهر جديد لكتابة العربية بحروف لاتينيّة، ومع أنّ الحاجة ربّما دعتْ بعض الناس إلى سلوك هذا المسلك؛ لعدم امتلاكه لوحة مفاتيح عربيّة، لكن ممّا لا شكّ فيه أن الظاهرة فَشَتْ بين أبناء العرب في بلادهم، وغدتْ داءً له أثره الكبير على واقع اللغة بين أبنائها. كما أنّ آخرين لم يكونوا في حاجة إلى هذا الاستخدام صاروا يتعمّدونه؛ رغبةً في تقليد غيرهم.

وتتفاوت البلاد العربيّة في حجم استشراء هذه الظاهرة، ومن مظاهر انتشارها في مصر مثلاً أن بعض الشّباب هناك أسّسوا مجلةً ربع سنويّة، يكتبونها بطريقة كتابة (فرانكو آراب) وهي مجلة (What's up).

## أسباب هذه الظاهرة:

- نجاح تعليم اللغات الأجنبيّة والفشل الجليّ في تعليم العربيّة، وهو ما أدّى إلى إتقان الكثير من شبابنا لغةً أجنبيّة مع ضعف معرفته بلغته.
- تأثير الثقافة الغربيّة على شبابنا، وضعف الانتماء لثقافتنا ولغتنا.
- تقصير أساتذة العربيّة ومراكز البحوث في معالجة الظاهرة في مهدها.
- التقصير في زرع الاعتزاز باللغة في نفوس أهلها بإبراز خصائصها، وإبراز تميّزها على غيرها من اللغات.

## معالجة هذه الظاهرة:

جاءت هذه الظاهرة نتاجاً للفجوة الواسعة بين العربيّة وأبنائها، مع قوّة تأثير اللغات الأجنبيّة بثقافاتها المرافقة لانتشارها. ولذا فلا عجب أن يشعر العقلاء بكثير من القلق حيالها؛ لما لها من دلالة على التغيّر الذي اجتاح المجتمعات العربيّة، وكتبوا كثيراً من البحوث والمقالات محاولين معرفة أسباب هذه الظاهرة، ودلالاتها ومخاطرها، وكيفية علاجها.

ومـن تلك الدراسـاتُ التي أعدّها (المركز القومـي للبحوث الاجتماعية والجنائيـة بالقاهـرة)، فقـد رأت أن اختيار الشَّبـاب ثقافةً ولغةً خاصّـةً هو تمرّد علـى النظام الاجتماعي؛ ولذا ابتدعوا لوناً جديداً مـن الثقافة لا يستطيع أحدٌ فَكّ رموزها غيرهم.

ويختلـف التربويـون في أساليـب معالجتهـا، فمنهم مـن ذهـب إلى أن استعمال الشَّبـاب لغة خاصّة بهم ليسـ تمرّداً، وإنما نوع من الهروب مـن المجتمع، وأنَّ على الكبار احترام لغتهم الجديدة وعدم الاستهزاء بها طالما أنها لا تتعارض مع الآداب العامة للمجتمع[1].

ورأى آخـرون أن تلك الظاهـرة لا تقتصر على كونها كتابـة بالحروف اللاتينية، لكنّها تدلّ على مدى الخطر الذي يهدّد هُويّتنا التي تأتي اللغة أحد أهمّ أسسها.

وممّـا يدلّ على شعـور الكثير من العقـلاء والمراكز والشـركات بأهمية مثل هذه الظاهرة محاولة التفاعل معها على وجوه مختلفة، ومن مظاهر ذلك التفاعل:

- إتاحة أحد المواقع تحويل الكتابة بتلك الطريقة لحروف عربية، كموقع: http://www.yamli.com/editor
- صمـم بعض الحاسوبيـين برنامج (عَرَبـك) لإضافة لغـة للحاسب لتحويل الكتابة بالحروف اللاتينية إلى العربية مباشرة.
- أضافـت قوقـل أداة للكتابة بهـذه الطريقة، وهـي محرر لأسلـوب الإدخال يسمـح للمستخدمين بإدخال نصـ بأي لغة من اللغـات المتوافقة باستخدام لوحة مفاتيح لاتينية، بمعنى أن المستخدمين يستطيعون كتابة كلمة بالطريقة التـي تنطق بهـا باستخدام أحرف لاتينيـة وسيعمل على تحويـل الكلمة إلى نصها الأصلي.
- برنامج (عربيزي) الذي يسهل الكتابة بلغة (فرانكو أراب).
- إطـلاق مايكروسوفـت برنامـج مـارن (Maren)؛ لترجمه لغـة (الفرانكو آراب) إلى اللغة العربية.

(١) ينظر: مجلة صوت المواطن: http://sootalmwatenmagazine.maatpeace.org

## توصيات لمعالجة المشكلة:

- طرح تلك الظواهر الطارئة على العلماء والباحثين المعنيين بمعالجتها، على ألاّ تكـون جهـوداً متفرّقة، بل مبنيّة على خطط مدروسـة؛ لكي تثمر في معالجتها. وأحسب أن مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدوليّ لخدمة اللغة العربية قادرٌ علـى القيام بهذا بالبحث في هذه الظاهرة، لمعرفـة أسبابها، وسبل معالجتها، وتوعية مستخدمي اللغة بالأخطاء والانحرافات والظواهر اللغويّة الخاطئة.
- إقامـة حمـلات لتوعية الشَّبـاب بأهميّة الحفـاظ على العربيّـة، وخطورة مثل هـذه الظواهر، وتكون الحمـلات إعلاميّةً وعـبر وسائل التواصـل الاجتماعي والمواقع الإلكترونيّة.
- ضرورة المبـادرة بالفعل وألاّ نكتفي بالحديث عن الظاهرة، والبدء بأيّ مشروع يعالـج هذه الظواهر مهما كان صغـيراً سيكون له نفعٌ وأثر، وسيكون أجدى من حشـد الكثير من البحوث النظريّة والاقتراحات دون فعل. ولكون هذه الظواهر اللغويّة تتطوّر وتزداد انتشاراً تصبح المبادرة بالعلاج واجبةً علينا.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

## المصادر والمراجع:


- الأزهري، أبو منصور: تهذيب اللغة، تحقيق عبد السلام هارون (المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة، دار القومية العربية للطباعة، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م).
- الجاحظ، أبو عثمان: البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، ط٧ (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م).
- الجندي، أنور: الفصحى لغة القرآن (بيروت: دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م).
- الزُّبيديّ، أبو بكر: لحن العوامّ، تحقيق رمضان عبد التواب، ط١ (المطبعة الكمالية، ١٩٦٤م).
- الظاهري، ابن حزم: الأحكام في أصول الأحكام، تحقيق أحمد محمد شاكر (بيروت: دار الآفاق الجديدة، د.ت).
- مجلة صوت المواطن: http://sootalmwatenmagazine.maatpeace.org
- ياغي، أحمد عبد الله عبد ربه: الملاحظات اللغويّة للجغرافيّين العرب: دراسة في ضوء علم اللغة (دراسة لنيل درجة الدكتوراه في الآداب) إشراف الأستاذ الدكتور حلمي خليل، مقدمة إلى قسم اللغة العربيّة واللغات الشرقيّة بكليّة الآداب بجامعة الإسكندريّة، عام ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.


***